تاريخ استقبال المقال: 27 /2017/10 تاريخ قبول نشر المقال: 2018/04/26 تاريخ نشر المقال: 2018/7/10

من جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر خلال القرن 19م تصفية رواد المقاومة الوطنية وقطع رؤوسهم

العياشي روابحي
قسم التاريخ
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة باجي مختار- عنابة- الجزائر
rouabhi2300@gmail.com

الملخّــص:

يحاول هذا المقال أن يسلط الضوء على إحدى الجرائم الفظيعة التي ارتكبها المستعمر الفرنسي في حق بعض رواد المقاومة الوطنية المسلحة في الجزائر الذين حاربوه خلال القرن 19م. وتتمثل هذه الجريمة في تصفية هؤلاء الثائرين، والتمثيل بجثثهم وقطع رؤوسهم وعرضها في الساحات العمومية، مع تقديم لسبع مقاومين كنماذج تم إعدامهم بتلك الطريقة الوحشية، وهم: بلحربي وسي زغدود في منطقة عنابة، ومحمد بوعود في سور الغزلان، وبن يمينة بمنطقة الحروش في ضواحي سكيكدة، وموسى الدرقاوي في المدية، وأحمد بوزيان في منطقة الزيبان، وأخيرا محمد الأمجد بن عبد المالك الملقب ببوبغلة في منطقة القبائل.

الكلمات المفتاحية: المستعمر الفرنسي، الجزائر، جريمة قطع الرأس، رواد المقاومة الوطنية المسلحة، القرن التاسع عشر.

Résumé :

Cet article se veut une contribution en vue d'éclairer quelques crimes horribles commis par l'occupant français en Algérie au cours du XIX ème siècle à l'encontre des leaders de la Résistance Nationale Armée. Et ce, par l'élimination de ces derniers, la décapitation, la mutilation de leurs corps et l'exposition de leurs têtes dans des lieux publics.

Le présent article tente d'expliciter et présenter sept leaders qui ont éliminés par l'armée française. Il s'agit de : Belharbi et si Zeghdoud dans région de Bône (Annaba), Mohamed Bouaoud à Aumale (Sour El Ghozlane), Benyamina à El Harrouch, Moussa Darkaoui à Media, Ahmed Bouziane dans la région de Ziban, et enfin Mohamed El Amdjed Ben Abdelmaled surnommé Boubaghla dans la Kabylie.

Mots clés : le Colonisateur français, Algérie, crime de décapitation, leaders de la résistance de Nationale Armée, XIX ème siècle.

Abstract :

This article tries to high light one of the horrible crimes that had been committed by the French colonialist against some of the pionners of the National Armed Resistence in Alegria during the 19th century. This crime embodies the extermination of these fighters by cutting their heads and exposing them in the public areas.

The article also, represents the seven combatants as samples that had been executed in a cruel way. These combatants were: Belharbi and si Zaghdoud in Bône (Annaba) region, Mohamed Bouaoud in Aumale (Sour El Ghozlane), Benyamina in El Harrouch, Moussa El Derkaoui in Medea, Ahmed Bouziane in Ziban, and finally Mohamed El Amdjed Ben Abdelmalek whowas nicknamed Boubaghla, in Kabylie.

Keywords: the French colonialist, Algeria, the crime of cutting heads, the pionners of the National Armed Resistence, The 19th century.

مقدمة

لقد ارتكب جيش المستعمر الفرنسي عدة مجازر بشعة في حق السكان الجزائريين، وبالأساس زعماء المقاومة الوطنية المسلحة خصوصا في بداية الاحتلال، حيث طبق عدة أساليب وحشية ضد كل من ناصب العداء للوجود الاستعماري، وثار ضد السلطة الاستعمارية. وقد تعددت هذه الأساليب مثل أسلوب المحارق في الكهوف والمغارات، والتعذيب والقتل والتنكيل والتمثيل بالجثث، وقطع رؤوس رواد المقاومة الوطنية المسلحة وعرضها في الساحات العمومية، ونحو ذلك من الجرائم ذات المستوى الكبير من الوحشية.

ويبقى السؤال مطروحا حول خلفيات وأسباب وأهداف هذه الجرائم، ولماذا كان الفرنسيون يقومون بتصفية هؤلاء القادة والرواد، ثم يُقدمون على قطع رؤوسهم، وبعدها يعرضونها في الساحات والأماكن العمومية؟ هل كانت هذه الجرائم تتمّ نتيجة لتخطيط مسبق خطط له الساسة والمسؤولون الكبار على مستوى الدوائر الرسمية الكولونيالية ونفذها الجيش الفرنسي باحترافية؟

أم أن هذه الجرائم كانت عبارة عن أفعال معزولة قام بها عسكريون فرنسيون متعطشون لسفك الدماء؟ وهل يمكن لفرنسا الكولونيالية أن تتملّص من مسؤوليتها القانونية والأخلاقية المرتبطة بهذه الجرائم؟

انطلاقا من ذلك سنحاول في هذا المقال التطرق إلى هذه الجرائم باعتبارها إحدى أركان السياسة الكولونيالية في الجزائر، بعدها نتعرض إلى بعض النماذج من رواد المقاومة الوطنية الذين تمت تصفيتهم ثم حزت رؤوسهم.

I- جريمة قطع الرأس إحدى أركان السياسة الاستعمارية الفرنسية

في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، كان القادة العسكريون الفرنسيون يشجعون تطبيق هذه السياسة التي ترتكز على تصفية الثوار وقطع رؤوسهم كعقاب لهم عن مقاومتهم ورفضهم للوجود الاستعماري، لذلك كانوا يتباهون بانتهاجها، وكانت أيضا إحدى السبل التي بواسطتها يمكنهم الحصول على ترقية وظيفية أو مقابل مادي، وهذا يعني بداهة أن هذه الجرائم كانت تطبّق بإيعاز من الدوائر الرسمية الفرنسية. وكان العقيد الفرنسي " دي مونتانياك " « De Montagnac » من أكبر منظري هذه السياسة، حيث اقترن ذكر اسمه في قاموس التاريخ الاستعماري بالقتل والتنكيل والتمثيل بجثث القتلى، لذلك اشتهر باسم "قاطع الرؤوس" « Coupeur de têtes ». وقد اعترف في كتاب له أطلق عليه عنوان " رسائل جندي" عام 1843م قائلا: " لقد تموقعنا في وسط البلاد، وكانت مهمتنا تتمثل في الحرق والتقتيل والتخريب والتدمير... لقد قمت بقطع رأس أحدهم، ثم بترت معصم يده اليسرى، وحملتهما معي إلى المعسكر أين كنا نرابط، وبعدها نصبت الرأس المقطوعة في أعلى حربة البندقية، كما علقت معصمه ببندقيته، بعدها قمت

بإرسالهما إلى الجنرال "براغاي دييلييه" « Baraguay d'Hilliers » * الذي كان يرابط بالقرب منا، وإنك لا تستطيع أن تتصوّر الغبطة التي شعر بها عندما استلم هذه الغنيمة. وبالمقابل فإنه لا يمكن تصوّر درجة الفزع الذي كان ينتاب العرب وهم يرون جثث إخوانهم مقطوعة الرأس... لقد وجّهت تعليمات صارمة إلى كل الجنود الذين هم تحت إمرتي، وألزمتهم بقطع رؤوس العرب على مرأى ومسمع الجميع، كما أنني هدّدت بتصفية كل جندي يأتي بعربي حيا..." [1].

وذكر أحد العسكريين الفرنسيين الذين شاركوا في عملية الغزو في صدر الاحتلال أن ارتكاب هذه الجرائم كان يمثل ممارسة يومية، وأن السلطات العسكرية الفرنسية كانت تشجع جنودها على ارتكاب هذه الجرائم حتى تربيهم على الوحشية التي كانت إحدى مواصفات العسكري الناجح داخل الجيش الفرنسي. وغالبا ما كان المسؤولون الفرنسيون يسندون مهام القيادة العسكرية لشخصيات عسكرية متعطشة لسفك دماء الجزائريين والتمثيل بجثثهم، ولا تتوفر على الحدّ الأدنى من الحس الإنساني. ويسوق المؤرخون أمثلة عديدة عن هذه الطائفة من العسكريين، ومنهم المملوك يوسف*، هذا الجنرال السيء السمعة الذي دخل مدينة عنابة عام 1832م على رأس جيش ضخم حاملا العلم الفرنسي، ومنصبا فوقه رأسا مقطوعة لأحد سكان المنطقة.

ولم تكن سمعة الدوق دي روفيغو Le Duc De Rovigo * أقل سوء من سمعة المملوك يوسف لأن الكتابات التاريخية لا تكاد تذكر اسم هذا الدوق إلا وذكرت معه مجزرة قبيلة العوفية قرب وادي الحراش بالجزائر العاصمة في بداية شهر أفريل من عام 1832م، حيث أعطى الأمر لجنوده بتصفيتها والتمثيل بجثث القتلى[2]. ولم يتحرج جنود هذا الدوق من حز رؤوس القتلى

وتثبيت البعض منها على رؤوس أسلحتهم، بل هناك من المؤرخين من قال أن الجنود الفرنسيين تجردوا من إنسانيتهم وأكلوا بعض رؤوس القتلى ! وسلبوا كل ممتلكات القبيلة بطرق وحشية، وعرضوا هذه الأسلاب في سوق باب عزون بالجزائر العاصمة. وقد صدم الناس عندما رأوا أساور النساء معروضة مع أياد مقطوعة ومخضبة بالدماء، كما رأوا أيضا أقراطا ذهبية ملتصقة بآذان النساء. والأخطر من هذا كله أن هذه المجزرة كانت قد لاقت استحسانا لا نظير له في الأوساط العسكرية الفرنسية، حيث أصدر "الدوق دي روفيغو" بيانا في 1832/04/08م أشاد فيه ببسالة جنوده الذين لا يتسامحون مع القبائل والسكان الذين يصدرون سلوكات عدوانية ضد الفرنسيين الحاملين لمشعل الحضارة في الجزائر.[3] !

وكان هذا الدوق عندما يوجه خطابا إلى جنوده يذكرهم بعبارته الشهيرة: " إلي بالرؤوس... هاتوا لي الرؤوس، سدوا قنوات المياه المعطوبة بواسطة رأس أول بدوي تقع عليه أيديكم. وإذا كان" دي روفيغو" قد اشتهر بقطع الرؤوس، فإن الماريشال بيجو* « Bugeaud » الذي حكم الجزائر في فترة لاحقة اشتهر بسياسة الأرض المحروقة، وأسلوب المحارق أيضا، فقد ترك هذا الماريشال وصية شهيرة لجنده حدثهم فيها على ضرورة التعامل بقساوة غير متناهية مع الثوار الجزائريين قائلا لهم: "أخنقوهم بالدخان مثل الثعالب". وكان هذا الماريشال أيضا من أكبر المسؤولين العسكريين الفرنسيين المدافعين عن سياسة قطع رؤوس الثائرين[5].

وذكر الجنرال "دي سانت أرنو" « De Saint –Arnaud »* في إحدى مراسلاته أن الإدارة العسكرية لبلاده كانت تقدم مكافأة مالية لكل عسكري فرنسي يقوم بقطع رأس أحد السكان ويقدمها أمام مسؤوليه المباشرين. ولما كان حمل هذه الرأس وعرضها أمام القيادة العسكرية الفرنسية أمرا يكلف

جهدا من حامله، اهتدت القيادة العسكرية الفرنسية إلى طريقة أخرى لا تكلف قاطع الرأس جهدا، وفي الوقت نفسه تضمن حقه في الحصول على هذه المكافأة، وتتمثل في تقديم زوج من الأذنين المقطوعتين فقط والاستغناء عن باقي أجزاء الرأس. وبهذه الكيفية تمكن الجنود الفرنسيون من قطع أكبر عدد ممكن من الرؤوس، وبالتالي الحصول على أكبر مكافأة مالية ممكنة. وتحدث "الكونت ديريسون" « Le Comte D'Hérisson » عن هذه الجرائم الفظيعة التي ارتكبها الجيش الفرنسي في حق الثوار والسكان المتعاطفين معهم، حيث ذكر أنه في إحدى المعارك قام الجنود الفرنسيون بقطع ثمان مئة زوج من آذان جثث القتلى الذين سقطوا في ساحة المعركة، ثم وضعوها في أكياس. ومن أجل تفادي عملية تعفنها سكبوا عليها الملح لكي تحافظ على حالتها لأطول مدة قبل تقاضيهم مبلغ تلك الآذان التي قطعت من أربع مائة جثة ![6]

والحقيقة أن الفرنسيين لم يكتفوا بارتكاب هذه الجرائم البشعة فحسب، بل أنهم قاموا بجرائم أكثر وحشية أخرى لا يسع المجال للحديث عنها في هذا السياق، ويكفي للتدليل على ذلك أن هذه الممارسات الشنيعة لم تكن تقتصر على الأحياء فقط، وإنما طالت أيضا الأموات، إذ لم تسلم عظامهم من بطشهم، وقد أكد حمدان بن عثمان خوجة الذي عاصر بداية الاحتلال الفرنسي أنه تحصل على شهادة أحد الأطباء الفرنسيين عام 1833م، أكد له فيها بأن إحدى السفن الفرنسية أخذت طريقها من ميناء الجزائر متجهة إلى ميناء مرسيليا بفرنسا، وكانت مشحونة بكميات معتبرة من عظام بعض الموتى الجزائريين، وقد أرسلت إلى فرنسا لتستخدم في المعامل الكيميائية وأغراض أخرى مختلفة، وكانت هذه العظام تضم الجماجم والأكواع وعظام الأفخاذ [7]!

ولا أحد من المؤرخين يستطيع أن ينكر ما حدث من أعمال بربرية وجرائم وحشية أثناء مجزرة أولاد رياح بغار الفراشيش بمنطقة الظهرة عام 1845م، التي كان بطلها العقيد " بيليسييه" « Pellisier »الذي لم يتحرج من إعطاء الأمر بـــ " تحميص" أفراد هذه القبيلة و"شوائهم" على النار وذلك بتكويم الحطب عند مدخلي هذا الغار الذي احتمى به أفرادها صحبة حيواناتهم ونتيجة لذلك أبيدت هذه القبيلة عن آخرها، وكان عدد أفرادها يتجاوز الألف. ووصفت لنا المصادر المعاصرة لتلك المجزرة جانب من المشاهد الفظيعة لتلك المحرقة، وتحدثت عن هيجان الحيوانات داخل ذلك الغار ورفسها للأطفال والنساء، وتكلمت كذلك عن محاولة الرجال لجم هذه الحيوانات وذلك بمسكها من قرونها أو أرجلها. وقد وجد الرجال داخل هذا الغار متشبثين بقرون الثيران الهائجة دفاعا عن الأطفال والنساء، وعثر أيضا على الأطفال ملتصقين بصدور أمهاتهم والدماء تنزف من أفواههم. ولم يجد جنود "بيليسييه" حرجا من نهب المختتقين حيث سلبوا كل ما ملكت أياديهم بما في ذلك برانيسهم المخضبة بالدماء[8]!

بهذا يتراءى لنا أن الفرنسيين طبقوا عدة أساليب وحشية ضد الجزائريين خاصة في بداية الاحتلال، فقطعوا رؤوس الثائرين ضد سلطتهم. ولم تكن لهمجيتهم حدود إذ لم يحترموا الموتى الذين انتهكوا حرماتهم، ولم ينظروا بعين الرأفة إلى الأطفال والنساء والشيوخ، بل وحتى الحيوانات التي تم تحميصها في الكهوف والمغارات، وكل هذا كان من أجل قتل روح المقاومة لدى الجزائريين، لأن الذين تمت تصفيتهم بتلك الطريقة البربرية غالبا ما كانوا من زعماء المقاومة الوطنية المسلحة الذين قاوموا الوجود الاستعماري، ودعوا السكان إلى حمل السلاح ضد المصالح الفرنسية، كما

سيتضح لنا أكثر من خلال عرضنا لبعض النماذج من رواد المقاومة الوطنية المسلحة الذين تم إعدامهم بهذه الطريقة الوحشية.

II- نماذج لبعض رواد المقاومة الوطنية المسلحة المقطوعة رؤوسهم

سنقصر الكلام في هذا السياق على بعض الرواد الذين تم إعدامهم بطريقة قطع الرأس خلال العقود الأولى للاحتلال، لأن الحديث يطول بنا إذا تجاوزنا هذا الإطار التاريخي، ويقتضي ذلك منا تسليط الضوء بصورة موجزة عن مقاومة كل واحد منهم من البداية إلى النهاية.

1- الثائر بلحربي

بعدما أحكم الفرنسيون قبضتهم على مدينة عنابة عام 1832م، اندلعت مقاومة شرسة في مواجهتهم أعلنتها القبائل والأعراش المنتشرة بضواحي المدينة كأولاد عطية، صنهاجة، والشرفة ونحوهم. وواجه الجيش الفرنسي الذي كان بقيادة المملوك يوسف هذه المقاومة بوحشية، فقتل الأبرياء وأغار على السكان ليلا، وأحرق وأباد وأنتهك الحرمات.

ولم يبق سكان المنطقة مكتوفي الأيادي، بل أعلنوا المقاومة في وجه هؤلاء الغزاة، وقاد هذه المقاومة الشعبية الثائر بلقاسم بن يعقوب الذي عضده الثائر بلحربي، وأنشأ هذا الأخير معسكره في سهل سيبوس قرب المدينة، وتزعم المقاومة خاصة بعد وفاة رفيقه بلقاسم بن يعقوب حيث احتمى بسفوح جبل الإيدوغ الشاهق، وجند عددا غير قليل من الأنصار الذين أغاروا على الفرنسيين وممتلكاتهم، كما هاجم ميناء عنابة وتمكن من تجريد حراسه من السلاح والاستيلاء على الذخيرة الحية، ثم الانسحاب نحو منطقة رأس الحمراء.[9] غير أن الكتاب الفرنسيين وعلى رأسهم " فيرو" « Féraud »

يدعون أن هذا الثائر كان يغير على أملاك الناس، ويأكل أموالهم بالباطل ويمارس اللصوصية.[10] وهو ادعاء باطل يجافي الحقيقة التاريخية.

وقد تمكن بلحربي من زرع الرعب في قلوب الفرنسيين، وازدادت خطورته على وجودهم بالمنطقة لاسيما بعدما أصبح ينسق الجهود مع الحاج أحمد باي الذي أعلن هو الآخر المقاومة في مواجهتهم.[11] وبقي بلحربي ثابتا على موقفه المقارع للاستعمار إلى أن سقط شهيدا في إحدى المعارك الطاحنة بجبل إيديوغ في 10 أوت 1836م كما تذهب إلى ذلك بعض المصادر الفرنسية المعاصرة.[12] وعلى إثر ذلك سارع القادة الفرنسيون إلى قطع رأسه، وعرضها بشوارع المدينة. غير أن السكان المتعاطفين معه قاموا بكفنها مع جسده، وحفروا لها قبرا ودفنوا فيه الجثة في المكان المعروف حاليا بمقبرة سيدي حرب الواقعة على هامش مدينة عنابة من جهة جبل إيديوغ.[13]

2- الثائر سي زغدود

ينحدر سي زغدود من أسرة دينية تنتمي إلى الطريقة الدرقاوية [14]، أعلن الثورة ضد الفرنسيين في جبل إيديوغ غرب مدينة عنابة وتحديدا في منطقة رأس الحديد، وانتشر لهيبها بشكل سريع، وازداد عدد مؤيديه وأنصاره ومسح تأثيرها منطقة الشمال القسنطيني برمتها. ولجأ في بداية المطاف إلى أسلوب حرب العصابات وتخريب مصالح الفرنسيين، ففض جموعهم وأثخن فيهم قتلا وتخريبا وتدميرا، حيث قام بتخريب الطريق الرابط بين عنابة والحروش كما قطع أسلاك الهاتف واستطاع أن يجيش جيشا قوامه 6500 مجاهدا [15]، أربك به القوات الاستعمارية وخاصة خلال الفترة الممتدة ما بين 1841م – 1843م حيث نجح في تأليب السكان ضد المستعمر وحثهم على عدم الامتثال لدفع الضريبة.[16]

وأمام تعاظم قوة سي زغدود قررت القيادة العسكرية الفرنسية القيام بحملة عسكرية ضخمة ضده قادها الجنرال "باراغاي ديلييه" في 1843/04/13م انتهت بالقضاء عليه.[17] وذكر "مرسيي" « Mercier » أن الفرنسيين لم يكن في مقدورهم وضع حد لنشاط هذا الثائر لو لم تعضدهم جهود بعض الزعماء الأهليين وعلى رأسهم القائد علي بن باحمد الذي قدم لهم خدمات ثمينة خلال هذه الحملة.[18]

وبعد القضاء على هذا الثائر قطعت رأسه وعرضت في ساحات مدن قسنطينة، الحروش، سكيكدة وعنابة.[19] وقد وجد الفرنسيون صعوبة كبيرة في تنفيذ عملية الإعدام إثر إلقاء القبض على سي زغدود. ونلمس هذه الصعوبة من خلال المذكرات التي تركها لنا الضابط الفرنسي "دي مونتانياك" الذي أعطى الأمر بحز رأسه، فقد ذكر أن المجندين الصبايحية* رفضوا الانصياع لأمر الإعدام وكتب قائلا: " ... لقد رفض كل الصبايحية الذين كانوا يعضدون الجيش الفرنسي تنفيذ أمر الإعدام في حق الثائر سي زغدود، وأصيبوا بالذهول عندما أعطيت الأمر بقطع رأسه، ورفضوا تسليم حصانه لكي ننقل على ظهره جثته من أسفل الوادي إلى سفح الجبل. وعلى إثر ذلك اضطررت اضطرارا إلى الإطاحة بأحدهم من على ظهر حصانه، وأخذت منه حصانه بقوة حينما بقي متشبثا به وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وراح يبكي ويصرخ بكل بلادة. وكنت أحرص على تنفيذ عملية قطع رأس سي زغدود من قبل أحد الصبايحية العرب، غير أنني لم أتمكن من ذلك، حيث رفض الجميع تنفيذ هذا الأمر، فتأسفت لذلك كثيرا لأنني كنت أفضل أن تنفذ هذه العملية من قبل الصبايحية العرب بدل الأتراك حتى تسوء علاقتهم بالسكان، لأن ذلك يخدم مشروعنا الاستعماري إلى أبعد الحدود. أما

الصبايحي التركي الذي أقدم على قطع رأس سي زغدود، فقد نظر إليه زملاؤه العرب نظرة احتقار وازدراء وهددوه بالتصفية الجسدية..." [20].

إن هذه الشهادة تؤكد لنا بما لا يدع مجالا للشك أن قضية المجندين في صفوف الجيش الفرنسي من هذه الفئة وغيرها تبقى قضية مثيرة للجدل لاسيما في شقها المتعلق ببواعث انخراطهم في صفوف هذا الجيش. فهل انخرط هؤلاء الجزائريون في صفوفه بسبب حبهم لفرنسا وانبهارهم بمفاتن حضارتها الغازية؟ أم أنهم فضلوا التعاون مع الفرنسيين مقابل الحصول على مكاسب مادية صرفة خاصة وأن السواد الأعظم منهم كانوا فقراء ومعدومين؟ أم أنهم فضلوا التعاون مع الفرنسيين لأن النظام العثماني الذي أفل نجمه كان قد همشهم واحتقرهم؟ أم أن للمسألة خلفيات أخرى؟. ومهما يكن من أمر فإن التعاون مع الغزاة لا يمكن بأي حال من الأحوال تبريره، ورغم ذلك فإن رفضهم للطريقة التي صفي بها الثائر سي زغدود يدل على أنهم لم يتجردوا من حسهم الديني والوطني.

3- الثائر محمد بوعود

اسمه الحقيقي محمد الهاشمي، أطلق على نفسه اسم محمد بن عبد الله تيمنا بنبي الخلق محمد عليه الصلاة والسلام، وينابيه آخرون ببوسيف أي رجل السيف. تعود أصوله إلى قبيلة تافيلالت المغربية، ظهر خلال مقاومة بومعزة * عام 1845م كأحد أعوانه، ثم سرعان ما انفصل عنه ليعلن الجهاد بمنطقة سور الغزلان. وقد أشاع بين الناس أن العناية الإلهية أرسلته لكي يحارب المسيحيين ويطردهم نهائيا من الجزائر، فذاع صيته والتف حوله حشد كبير من الأنصار وأصبح يهدد مصالح الفرنسيين.[21] وأشار تقرير فرنسي إلى أن القيادة العسكرية الفرنسية كانت ترصد كل تحركاته عن

طريق قنواتها المختلفة، وكانت أيضا تحذر من خطره، وتعتبره عدوا خطيرا يمكنه أن يزعزع أمنهم[22].

وفي 03 أوت من عام 1847م نظم محمد بوعود ورفقائه هجوما كاسحا استهدف مدينة جيجل، غير أن القوات الاستعمارية المدعومة من طرف بعض القادة الأهليين وعلى رأسهم خليفة فرجيوة أحمد بوعكاز *، تمكنت من توقيفه، وأحيل على القضاء الذي أصدر حكما يقضي بنفيه إلى فرنسا، ووضع هناك رهن الإقامة الجبرية لمدة سنتين، غير أنه تمكن من الفرار ودخل إلى البلاد التونسية سرا، ثم عاد إلى جبال جرجرة عام 1849م، وأعلن الجهاد هناك مرة أخرى[23].

وحتى يحشد الأنصار والمؤيدين، فقد تنكر وقدم نفسه على أنه الثائر بومعزة الذي كان منفيا في فرنسا، فاتصل بعدة شخصيات ثورية كلالة فاطمة نسومر وحث الناس على الجهاد ضد المسيحيين[24].

خاض الثائر محمد بوعود عدة معارك ضد قوات الاستعمار، آخرها المعركة التي دارت بين قواته وقوات الضابط الفرنسي "بوبريتر" « Beauprêtre » * في 05 أكتوبر من عام 1849م، التي استشهد فيها. وذكر النقيب " بورجاد" « Bourjade » الذي كان شاهد عيان في هذه المعركة أن الفرنسيين احتفظوا بجثته، إلى جانب حصانه وسلاحه ورايته، بعد ذلك قاموا بقطع رأسه وأرسلوها إلى السلطات العسكرية المركزية بالجزائر العاصمة رفقة رايته [25].

4- الثائر بن يمينة

أعلن بن يمينة الجهاد في وجه القوات الاستعمارية بمنطقة الحروش بالشرق الجزائري في مطلع عام 1849م، وأشار تقرير فرنسي إلى أنه تمكن

من إقناع أنصاره ومؤيديه بأنه مرسل من طرف الملك المغربي مولاي عبد الرحمان الذي كلفه بسحق النصارى المسيحيين أعداء الدين والوطن.[26]

وعلى إثر ذلك قام الجنرال "هربيون" « Herbillon » الذي كان يشرف على مراقبة الأوروبيين الذين استوطنوا بالمنطقة بتكليف القايد سعودي وفرقة "القوم" التابعة له برصد تحركات هذا الثائر، كما طلب منه تزويده بمعلومات كاملة حول نشاطه. وتبين فيما بعد أن بن يمينة يحوز على شعبية كبيرة بالمنطقة، حيث وصل عدد أتباعه إلى 3000 رجل، وصفتهم المصادر الفرنسية بالمتعصبين. وقد تمكن بواسطتهم من محاصرة منطقة الحروش، كما وجه نداء إلى رئيس المركز العسكري الفرنسي النقيب "دوبويسون" « d'Aubuisson » طالبا منه وضع السلاح. ولم يكتف بمطالبته بالاستسلام بل أيضا الدخول في الإسلام![27]

ودارت بين الطرفين معركة كبرى في 29 أفريل من عام 1849م [28]. ويبدو أن الفرنسيين انكسروا فيها، فاضطروا إلى تجهيز حملة عسكرية أخرى حاصرت قوات هذا الثائر من كل الجهات، فاضطر إلى الفرار إلى منطقة سيدي ادريس بغرب اسمندو (زيغود يوسف حاليا)، غير أن القوات الاستعمارية المدعومة بفرق " القوم" الأهلية التي كان يقودها الزعيم الأهلي إبراهيم بن عبد الله قايد العلمة تمكنت من القضاء عليه في 05 جوان من عام 1849م. وقد تمت عملية تصفيته من قبل أحد فرسان "القوم" المدعو "علي بن الفردي". وعلى إثر ذلك سارع الفرنسيون إلى قطع رأسه وإرسالها إلى مدينة قسنطينة حيث القيادة العليا للجيش الفرنسي التي أمرت بعرضها فوق أسوار المدينة [29].

5- الثائر الشيخ الحاج موسى بن حسن الدرقاوي

ينحدر الشيخ موسى الدرقاوي من أسرة مرابطية، وغالبا ما تسميه المصادر التاريخية بـــ "بوحمار" لأنه كان يمتطي حمارا أثناء تنقلاته بل أثناء جهاده[30]، أعلن الجهاد في بداية الأمر في منطقة المدية، ثم نقل نشاطه الثوري إلى منطقة الجزائر العاصمة[31].

ويذكر محمد نجل الأمير عبد القادر أن الشيخ بوحمار كان يراسل والده، ويدعوه إلى الجهاد المشترك، غير أن والده أجابه: "... إن هذا غير ممكن الآن، لكوني عقدت معاهدة مع الفرنسيين، وأما أنت فإن كنت مستعدا لذلك، وعزمت عليه فشأنك وما تريد...". ولما اطلع على هذا الجواب، كتب إليه يدعوه إلى بيعته، فأجابه: "... إنني مبايع من أهل الوطن فإن كانت بيدك أوامر سلطانية، فاظهرها حتى نراها..." [32]. ونتيجة لهذا الموقف تصدعت العلاقة بينهما وتطورت إلى مواجهة مسلحة خلال شهر أفريل من عام 1835م بمنطقة المدية انكسر فيها الشيخ بوحمار[33].

ورغم ذلك بقي الشيخ بوحمار ثابتا على نهجه المعادي للفرنسيين، ولما اندلعت مقاومة واحة الزعاطشة عام 1849م، ضم هذا الشيخ كل قواته إلى الثائرين [34]، غير أن قوات المستعمر الفرنسي تمكنت من القضاء على زعماء هذه الثورة ونكلت بجثثهم، ومنهم جثة الثائر بوحمار حيث قطعت رأسه، ووضعت فوق المقصلة التي أقامها الجنرال "هربيون" أمام معسكره [35].

6- الثائر أحمد بوزيان

ينحدر الثائر أحمد بوزيان كذلك من أسرة مرابطية تنتمي إلى الطريقة الدرقاوية، كان رجلا ورعا ومقدما لهذه الطريقة الصوفية بمنطقة الزيبان، تعاون في البداية مع الأمير عبد القادر[36].

وفي عام 1849م أعلن الجهاد ضد الفرنسيين بمنطقة الزيبان مستغلا في ذلك حالة التذمر التي كان عليها سكان المنطقة بسبب الضرائب والمغارم التي فرضها الفرنسيون على أشجار النخيل[37]، وهناك عامل آخر اعتبره الفرنسيون عاملا مركزيا شجع الشيخ بوزيان على حمل السلاح يتمثل في الظروف الداخلية التي كانت تمر بها فرنسا والناجمة على آثار ثورة 1848م بباريس وتراخي قبضتها عن الوضع في الجزائر، ناهيك عن الاضطرابات التي عصفت بمقاطعة قسنطينة في تلك الفترة مثل ثورة فرجيوة والزواغة، وأحداث البابور، والشمال القسنطيني، والمدية وسور الغزلان وأولاد نايل ونحوها من حركات التمرد والعصيان.[38]

وقد تمكن الثائر بوزيان من توجيه ضربات موجعة للجيوش الفرنسية، كما بينت المعارك التي خاضها ضدهم مدى ضعف قواتهم العسكرية، وهذا ما أكده أحد الضباط الفرنسيين بالمنطقة الذي دعا مسؤوليه إلى الاعتراف بهشاشة جيشهم وأعاب عليهم عدم التعامل مع الوضع بالجدية اللازمة.[39] غير أن الفرنسيين تمكنوا في نهاية المطاف من إجهاض هذه الثورة وانتقموا من الثوار والسكان المتعاطفين معهم انتقاما أرعنا أثناء حصارهم لواحة الزعاطشة،[40] التي عملوا على تخريبها بصفة كاملة، حيث قاموا بقطع نحو عشر آلاف شجرة نخيل مثمرة، وقتلوا ألف وخمس مائة من السكان.[41]

وبعد ذلك نصبت قوات الاحتلال الفرنسي مقصلة على باب المعسكر الذي كانت ترابط فيه، ثم قامت بقطع رأس الثائر بوحمار (الذي أسلفنا الكلام عنه)، كما قطعت رأس الثائر بوزيان وابنه الذي كان شابا يافعا، ثم علقت رؤوسهم الثلاثة [42] أمام هذا المعسكر.[43] والواقع أن الشيء الذي يدعو إلى الدهشة أن الفرنسيين قاموا بمكافأة هؤلاء الضباط الذين قادوا هذه الحملة

البربرية، حيث كوفئ العقيد "كانروبير" « Canrobert » ومنح رتبة رائد، كما تهاطلت التهاني على "سانت أرنو" وأسندت إليه مهام القيادة العليا لمقاطعة قسنطينة[44]. بعـــد ذلك قام الفرنسيون بحمل رأس بوزيان إلى مدينة قسنطينة حيث يوجد مقر القيادة العسكرية العليا، ووضعوها إلى جانب عدة رؤوس بعض الثائرين الآخرين، وظل هناك لعدة سنوات، ثم أرسل رفقة عدة رؤوس آخرين إلى المتحف الأنثروبولوجي بالعاصمة الفرنسية باريس[45]، وهي موجودة به هناك إلى يومنا هذا.

7- الثائر محمد الأمجد بن عبد المالك

تسميه المصادر التاريخية المعاصرة بالشريف بوبغلة*، وقد اختلف المؤرخون والباحثون حول تحديد أصله، وذهب كل واحد منهم مذاهب شتى، غير أنهم متفقون على أن الشريف بوبغلة أعلن الجهاد ضد الاستعمار في منطقة القبائل خلال الفترة الممتدة ما بين 1851م- 1854م فكلفت الإدارة الاستعمارية ضباطها بتوقيفه، غير أنهم لم يتمكنوا من ذلك لأن مخبريه نصحوه بالاحتراس والحيطة [46]. وقد عمل الشريف بوبغلة على توسيع نشاطه الثوري، وتهييج السكان ضد المصالح الفرنسية، فاستقطب الأنصار والمؤيدين. وتحدثت التقارير الفرنسية المعاصرة لثورته عن تزايد عددهم خارج منطقة القبائل وخاصة في برج بوعريريج وبوسعادة[47].

بقي بوبغلة متمسكا بنهجة الجهادي في المنطقة، فالتف حوله السكان ومنهم المجاهدة لالة فاطمة نسومر، وراسل الأعيان وهاجم مدينة بجاية في 10 ماي من عام 1851م بجيش منظم ومزود بفرقة موسيقية كانت تلهب حماس الثائرين، وصل تعداده إلى نحو عشرة آلاف مجاهد. وقد صمدت مقاومته زهاء خمس سنوات تحولت خلالها بلاد زواوة إلى مقبرة حقيقية للجيش الفرنسي[48].

وأخيرا تمكنت القوات الاستعمارية من القضاء عليه بواسطة أعوانها من عائلة المقراني* ويتعلق الأمر ببومزراق المقراني، وأخيه لخضر المقراني اللذين قاما بالقضاء على هذا الثائر في إحدى المعارك التي نشبت بينه وبين بعض خصومه من قبيلة بني عباس في 26 أفريل 1854م، حيث تمكن هذا الثائر من الاستيلاء على بعض ممتلكاتهم، إلا أن القوات الاستعمارية المدعومة من قبل المقرانيين والتي كانت متمركزة بالمنطقة سارعت إلى نجدتهم، ودخلت في مواجهة مع قوات الشريف بوبغلة، الذي أصيب بجروح بينما فرّ معظم رجاله، وهو الأمر الذي سهّل على بومزراق المقراني وأخيه لخضر من القضاء عليه [49].

وقد تكلمت المصادر الفرنسية على الطريقة البشعة التي صفي بها الشريف بوبغلة على يد المقرانيين، وأشارت إلى محاولة فراره إلا أن محاولته باءت بالفشل، فتقدم منه لخضر بن دراجي أحد فرسان لخضر المقراني، وقام بقطع رأسه، دون أن يتأكد إن كان حيا أم ميتا، ثم قام بنقلها إلى مدينة برج بوعريريج لتعلق في ساحتها العمومية على عمود يوم 28 ديسمبر من عام 1854م إلى جانب حصانه وسلاحه وختمه الخاص. فتوافد الناس من كل حدب وصوب للاطلاع عليها والتأكد من النهاية المأساوية لهذا الثائر [50].

ويذكر العقيد "روبن" « Robin » العليم بأخبار ثورة بوبغلة أن هذا الثائر لم يقتل خلال هذه المعركة، وإنما قتل في فترة لاحقة حيث قام لخضر المقراني بالتخطيط لمؤامرة مع أفراد من بني مليكش، وقام بدفع مبلغا ماليا معتبرا إلى المدعو " أعراب أو كروش" مقابل قيامه بتصفية الشريف بوبغلة. وعندما قام بقتله قطع رأسه وحملها إلى لخضر المقراني، فقام هذا الأخير بنقلها إلى برج بوعريريج مدعيا أنه هو الذي قام بتصفيته جسديا. [51]

ولا تهمنا كثيرا تفاصيل هذه الوقائع، إنما الشيء الذي يهمنا في هذا السياق هو معرفة الطريقة البشعة التي صفي بها هذا الثائر سواء من قبل الفرنسيين أو من قبل أعوانهم من الزعماء المقرانيين الذين تفانوا في خدمة الإدارة الاستعمارية وساهموا إلى جانب جيوشها في قمع الحركات الثورية المناهضة للوجود الاستعماري، ورغم ذلك فقد قاموا بقمعهم وفرقوا جموعهم، وزجوا بالكثير منهم في السجون ونفوا أعدادا هائلة منهم إلى الخارج وعلى رأسهم بومزراق المقراني عندما ثاروا ضد سلطتهم عام 1871م.

خاتمـــة :

في ختام دراستنا لهذا الموضوع استطعنا أن نخلص إلى النتائج الآتية:

– إن النماذج السبعة لرواد المقاومة الوطنية المسلحة الذين وقع ذكرهم في هذه الدراسة، والذين تمت تصفيتهم بتلك الطريقة البشعة، ما هي إلا نماذج ذكرت على سبيل المثال لا الحصر، وخلال فترة زمنية محددة هي بداية الاحتلال، لأن مثل هذه الجرائم كانت قد طبقت من قبل المستعمر الفرنسي خلال الحقبة الكولونيالية برمتها. وهذا يدل على أن الفرنسيين الذين نظروا لهذه الممارسات غير الإنسانية كانوا قد تجردوا من إنسانيتهم وضربوا بمبادئهم وقيمهم عرض الحائط، وأصبح الانتقام هو العنصر المحرك لسلوكهم لاغيا بذلك القناعات والمبادئ التي نادت بها ثورتهم عام 1789م.

– لقد تبين من خلال ما تقدم أن القادة الفرنسيين بعد ارتكابهم لهذه الجريمة ذات المستوى الكبير من الوحشية المتمثلة في قطع رؤوس رواد المقاومة الوطنية المسلحة، يقومون بعرض الرأس المقطوعة في الساحات العمومية حتى يطلع عليها أكبر عدد ممكن من السكان. والواقع أن هدفهم من

وراء ذلك هو إرهاب السكان من عموم الشعب الجزائري ونخبه وقادته، حتى تكون هذه العقوبة المشينة عبرة لكل من تسول له نفسه حمل السلاح ضدهم، وضد مشروعهم الاستعماري.

– من غير المعقول أن هذه الجرائم الوحشية كانت أعمالا فردية معزولة قام بها عسكريون فرنسيون أثناء مواجهتهم للثوار الجزائريين في الجبال والمناطق ذات التضاريس الوعرة، وبعيدا عن عيون رجال السلطة الفرنسية وصناع القرار، وإنما كانت أعمالا مدروسة وفق منهجية دقيقة خطط لها الساسة والقادة العسكريين الفرنسيين في أعلى هرم السلطة. وليس أدل على ذلك من أن التقارير الرسمية الفرنسية حينئذ لم تكن تتحرج من الحديث عن هذه الممارسات مثل نقل عظام الموتى، ورؤوس الثوار المقطوعة إلى فرنسا.

– لا يختلف اثنان في أن هذه الجرائم هي جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، والثابت أن أركانها المادية والمعنوية والشرعية قائمة، وبالتالي فإن مسؤولية فرنسا الاستعمارية تبقى ثابتة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال نكرانها والتملص منها بحجة أن قواعد تجريمها لم تر النور إلا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك في إطار مبادئ القانون الدولي العام، كما أنه لا يمكن إخضاعها لعنصر التقادم المسقط للعقوبة الذي تقره التشريعات الجنائية لأن الإنسانية برمتها هي التي تمثل الطرف المدني المضرور فيها.

الملحق: صورة بريشة أحد الأطباء الفرنسيين لرؤوس الشهداء الثلاث التي قطعت في ثورة الزعاطشة عام 1849م و علقت على المقصلة التي أقامها الجنرال "هربيون" على باب معسكره.[1]

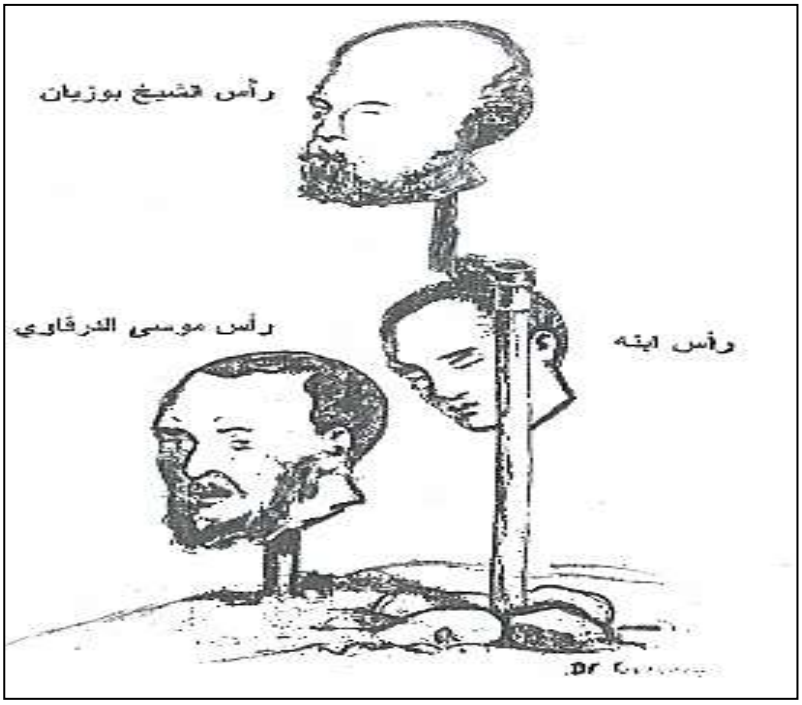

(1) سعيد بورنان : شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830-1962): I- رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2004، ص 121.

الهوامش :

* الجنرال "براغاي ديبلييه" هو رئيس القطاع العسكري القسنطيني، وصل إلى هذا المنصب في نهاية عام 1842م خلفا للجنرال "نيغريي" وكان من ألمع ضباط الجيش الفرنسي، فقد أحد ذراعيه في إحدى المعارك التي خاضها جيش نابليون ضد أعداءه، لذلك عرف في الأوساط الشعبية باسم الجنرال بوذراع، اشتهر بحملاته العسكرية ضد ثوار زردازة، والقل والحنانشة.

حول ذلك ينظر:

- Ernest Mercier : Histoire de Constantine, Constantine, Marle et F.Biron imprimeur éditeur, 1903, p 498.

1- Ferhat Abbas : La nuit coloniale : Guerre et Révolution d'Algérie, Éditions A.N.E.P, Algérie, 2005, p 54.

* كان المملوك يوسف خادما لدى باي تونس الذي استقدمه من جزيرة ألبا التي سقط فيها أسيرا. وعندما احتل الفرنسيون الجزائر عام 1830م، اتصل هذا المملوك المغامر بالسلطات الفرنسية طالبا منها الانخراط في الجيش الفرنسي فلبت طلبه، ثم تقلد عدة مسؤوليات داخل هذا الجيش ووصل إلى رتبة جنرال، وقد لعب دورا محوريا في ترويع السكان والتمكين للفرنسيين.

حول هذه الشخصية المغامرة ونشاطها داخل الجيش الفرنسي ينظر:

- Marcel Emérit : « Le mystère de Yusuf », in, Revue Africaine n° 96, Année 1962, pp 385-399.

* كان "الدوق سافاري دي روفيغو"Le Duc Savary De Rovigo قائدا عاما للجيش الفرنسي في الجزائر، شغل هذا المنصب لمدة قصيرة امتدت من 1831/02/20م إلى غاية 1831/12/06م أي لمدة قدرت بـــ 9 أشهر و16 يوما. اقترن ذكر اسم هذا الدوق في المصادر المعاصرة لفترة حكمه بجرائم القتل وسفك الدماء. وكانت نهاية حياته حزينة حيث أصيب بمرض السرطان، كما أصيب بمرض عصبي نفسي. وقيل أن هذه الأسقام أصابته نتيجة إقدامه على إرتكاب مجزرة العوفية التي كان يتخيل أرواح أبريائها أشباحا تطارده ليلا كلما حل الظلام الدامس.

– حول هذه الشخصية المتعطشة لسفك الدماء ينظر:

– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1992، ص ص 54،55.

وينظر كذلك:

- Anonyme : « Histoire de L'Algérie : Liste Chronologique des Maréchaux de France… », in Revue Africaine n° 31, année 1887, p 428.

2- Mostefa Lacheraf :L'Algérie, Nation et Société, S.N.E.D, 2ème édition, Alger, Algérie, 1978, p 271.

3- Georges Yver : « Hamdane BenOthmanKhodja », in Revue Africaine, n° 57, Année 1913, p 123.

* طوماس روبرت بيجوT.R. Bugeaud من مواليد 1784/10/15 م بمدينة ليموج الفرنسية، انخرط في صفوف الجيش الفرنسي عام 1804 م ، شغل منصب الحاكم العام للجزائر (1840 م – 1847م). وفي 1840/04/15م تقلد عصا الماريشالية،

استقال من منصبه في 1847/09/11م اشتهر بحروبه العدوانية ضد الشعب الجزائري، كما اشتهر بإجهاضه لمقاومة الأمير عبد القادر.

– حول هذه الشخصية ينظر:

- Narcisse Faucon : Livre d'or de L'Algérie : Biographie, Édition challamel, Paris, France, 1889, pp 559, 560.

4– فرانسوا مسبيرو: سانت أرنو أو الشرف الضائع، ترجمة مسعود حاج مسعود، مراجعة أحمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 7.

5- Mahfoud Smati : Les Élites Algériennes Sous La Colonisation, Tome I, Éditions Dahlab, sans date, p 40.

* شغل الجنرال "دي سانت أرنو" منصب رئيس القطاع العسكري القسنطيني عام 1850 م وقد اشتهر بسياسته الجهنمية تجاه سكان مقاطعة قسنطينة، حيث طبق سياسة الأرض المحروقة في منطقة القبائل لإرهاب السكان وإجبارهم على الاستسلام. وكان هذا الجنرال السيء السمعة يتقرب من مسؤوليه بواسطة ارتكاب الجرائم الفظيعة في حق الجزائريين، خاصة وأن الساسة الكبار في فرنسا حينئذ كانوا يكافئون العسكريين في الجزائر الذين ينجحون في فرض منطق السلطة الاستعمارية بتلك الطرق البربرية، فيرقونهم في المناصب ويثقلون صدورهم بالأوسمة والنياشين. وكان "دي سانت أرنو" ذا طموح جارف، إذ كان يطمح إلى تقلد أعلى المناصب والرتب العسكرية، وقد وجد في الحملات البربرية التي شنها على السكان العزل في الأرياف فرصته الذهبية لبلوغ هذا الهدف، فكتب إلى شقيقه خطابا عام 1851م قال له فيه: "... لقد قمت بتحضير حملتي ضد منطقة جيجل بحب وحماس لا نظير لهما، لأن نجاحها مرهون بتقلدي عصا الماريشالية..."

– حول هذه الشخصية العسكرية ينظر:

- Omar kerdja : la Conquête Française du Djurdjura. Du débarquement de 1830 à la veille de l'Offensive de 1857, Tome I, Éditions le Savoir, Algérie, 2007, p 215.

6– فرانسوا مسبيرو: المصدر السابق، ص 186.

7– محمد الطيب عقلب: حمدان خوجة رائد التجديد الاسلامي، الجزائر، 1985،ص 73.

8– أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص 228–230.

9– أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص ص 149، 150.

10- L.ch.Féraud : « Documents pour servir à l'histoire de Bône », in Revue Africaine n° 31, Année 1887, p 246.

11- حفناوي بعلي:" صانعو ملاحم الأرياف في الشرق الجزائري: ثوار، فلاقة، متمردون"، المصادر مجلة سداسية يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، العدد 4، عام 2002، ص ص 338-340.

12- Gabriel Esquer : Correspondance du Maréchal Clauzel (1835-1837), Tome I, Éditons laRose, Paris V, France, 1948, p 657.

13- سعيد دحماني: من هيبون. بونة إلى مدينة عنابة، تاريخ تأسيس قطب حضري، لجنة الثقافة والسياحة والرياضة، المجلس الشعبي البلدي، عنابة، الجزائر، 2002، ص 168.

14- إدوارد دونوفو: الإخوان، دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 90.

15- حفناوي بعلي: المقال السابق، ص ص 343، 344.

16- Roger Germain : La Politique Indigène De Bugeaud, Éditions LaRose, Paris V, France, 1955, p 131.

17- حفناوي بعلي: المقال السابق، ص 347.

18- Ernest Mercier : op.cit, p 498.

19- سعيد حماني: المرجع السابق، ص 167.

* الصبايحية " « Spahis » هي فرقة عسكرية تتألف من عناصر جزائرية متعاونة مع الجيش الفرنسي، تتمثل مهمتها المركزية في مساعدة الفرنسيين على فرض سيطرتهم على البلاد. وقد تم تأسيس هذه الفرقة بمقتضى الأمر الملكي الصادر في 07 ديسمبر من عام 1841م، الذي أدمج هذه الفرقة في الجيش النظامي الفرنسي. وفي شهر جويلية من عام 1845م، صدر أمرا ملكيا نص على تشكيل هذه الفرقة في المقاطعات الجزائرية الثلاثة (الجزائر، قسنطينة، وهران). وتجدر الإشارة إلى أن الفرنسيين كانوا قد أنشأوا هذه الفرقة في كل مستعمراتهم، وكانت فرقة كل مستعمرة تتميز بزيها ولباسها الرسمي الذي يختلف عن زي ولباس المستعمرة الأخرى. فمثلا كان الصبايحية الجزائريين يتميزون ببرانيسهم الحمراء، بينما كان صبايحية المغرب الأقصى يتميزون ببرانيسهم الزرقاء الداكنة. وقد استمر العمل بهذه الفرقة خلال الحقبة الاستعمارية برمتها.

- حول نشاط هذه الفرقة خلال الحقبة الاستعمارية ينظر:

- Colonel Yves Jouin : « Gloire des Spahis » in Historia Magazine, n° 203, Éditions Jules Tallandier, Paris, France, 1971, pp 315-320.

20- Camille Rousset : La conquête de l'Algérie (1841-1857), Tome2, 3ème Édition, Éditeur librairie Plon Nourrit et Cie, Paris, France, 1904, p 256.

* لقب بهذا الاسم لاصطحابه عنزة أو غزالة في كل مكان يحل به، أعلن الثورة في جبال الظهرة والشلف والونشريس، واستمرت ثورته إلى غاية عام 1847م. وقد درس شارل ريشارد خلفيات وأسباب هذه الثورة، ووصل إلى قناعة مؤداها أن سببها الرئيس هو التعصب الديني الذي كان يميز ذهنية هذا الثائر المتشبع بأفكار الطريقتين القادرية والطيبية. وهو إدعاء باطل لأن الكتاب الفرنسيين كانوا يصفون كل من يناصبهم العداء ويثور ضدهم بأوصاف غير حميدة كالمتعصبين واللصوص، والفارين من العدالة ونحو ذلك.

حول هذه الدراسة ينظر:

- Charles Richard : Étude sur l'insurrection de Dahra 1845-1846, libraire Bastide, Alger, 1846, p 71 et suivante.

21- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، الجزء الأول، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، 2002، ص ص 349، 350.

22- Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France : F80. 493 : Bureaux Arabes, Rapports de Constantine 1846 : cercle de Constantine, Rapport de 1ère Quinzaine de Février 1846.

* تعاون الشيخ أحمد بوعكاز زعيم عائلة بوعكاز بن عاشور مع الفرنسيين اعتبارا من عام 1838م، فأسندوا له منصب خليفة فرجيوة لأنه كان من الشخصيات الأكثر نفوذا وثراء بالمنطقة.

- حول ذلك ينظر:

- Charles-Robert Ageron : l'Algérie Algérienne de Napoléon III à de Gaulle, Éditions Sindbad, Paris, France, 1980, p 51.

23- Colonel Robin : « Histoire d'un chérif de la Grande Kabylie » in Revue Africaine n° 14 Année 1870, pp 349,350.

24- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ص 301.

* انتهج "بوبريتر" سياسة جهنمية ضد القبائل الثائرة، ونتيجة لذلك ترقى في المسؤوليات العسكرية بسرعة فائقة، وحصل على وسام ضابط جوقة الشرف رغم أنه كان لا يعرف إلا النزر اليسير من القراءة والكتابة، تولى إدارة شؤون المكتب العربي لسور

الغزلان، ثم ذراع الميزان عام 1851م، فتيزي وزو عام 1855 م ثم نقل إلى الغرب الجزائري وحصل على رتبة عقيد.

حول المسار المهني لهذه الضابط ينظر:

- Beaussier : « Notice sommaire sur le colonel Beauprêtre », in Revue Africaine, n° 14, Année 1870, pp 441-444.

25. G .Bourjade : « Notes chronologiques pour servir à l'histoire de l'occupation Française dans la Région d'Aumale 1845-1887 », in Revue Africaine n° 33, Année 1888, pp 284, 285.
26. Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France : F80. 496, Bureaux Arabes, Rapports de Constantine 1849, Cercle de Constantine, Rapport de la 2ème quinzaine du mois de Mars 1849.
27. Ernest Mercier : op.cit, pp 529, 530.
28. أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 340.
29. Ernest Mercier : op.cit, p 530.
30. Gabriel Esquer : Correspondance du Général Drouet D'Erlon (1834-1835), Éditions Honoré-edouard, Paris, France, 1926, pp 308, 309.
31. عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ المدن الثلاث: (الجزائر، المدية، مليانة)، مطبعة ساري بدر الدين وأبناؤه، الأبيار، الجزائر، 1972، ص 334.
32. محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، الجزء الأول، شرح وتعليق ممدوح حقي، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2007، ص 267.
33. Gabriel Esquer : op.cit, p 309.
34. Colonel Robin : « Histoire du Chérif Boubarla » ; in Revue Africaine, n° 25, Année 1881, p 340.
35. ابراهيم مياسي: مقاربات في تاريخ الجزائر 1830–1962، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 92.
36. محمد العربي الزبيري: مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 57.
37. سعيد بورنان: شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830–1962، الجزء الأول: رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، تيزي وزو، الجزائر 2004، ص 114.
38. Henri Garrot : Histoire Générale de l'Algérie, Paris, France, 1910, pp 883, 884.

39. Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France : 2H25 : Opérations Militaires : Cercle de Biskra, Note additionnelle de la 2ème quinzaine du mois de Mai 1849.

40. محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954م، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1985، ص 67.

41. Henri Garrot : op.cit , p 886

42. ينظر ملحق هذه الدراسة.

43. ابراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 86.

44. Charles-André Julien :Histoire de l'Algérie Contemporaine :La Conquête et les débuts de la Colonisation (1827-1871) Éditions Casbah, Alger, Algérie, 2005, p 385.

45. H.D- de Grammont :« Bulletin », in Revue Africaine, n° 30, Année 1886, pp 79, 80.

تضمنت هذه النشرية تقريرا بقلم الدكتور "ريبو" « V.Reboud » حول قيام الفرنسيين بإرسال رؤوس بوزيان زعيم ثورة الزعاطشة، والشريف بوبغلة، وشريف مقاومة تبسة رفقة تسعة رؤوس أخرى إلى قسم الانتروبولوجيا بمتحف باريس العالمي.

* لقب بـــ " الشريف بوبغلة" لأنه كان يصطحب معه بغلة رمادية اللون في كل تحركاته وتنقلاته.

46. محمد سي يوسف: مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي: ثورة بوبغلة، دار الأمل، 2000، ص- ص 76-78.

47. Archives d'Outre-mer d'Aix-en-Provence, France : F80. 499, Bureaux Arabes, Rapports de Constantine 1851, Cercle de Setif, Rapport du mois de Mai 1851.

48. أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص 345-351.

* تعاونت أسرة المقراني مع الإدارة الاستعمارية ابتداء من عام 1838م، فقدمت خدمات كبرىللفرنسيين، غير أنها سرعان ما انفضت من حولهم عام 1871م وأعلنت ثورتها وهي الثورة المعروفة في التاريخ الوطني بثورة المقراني 1871م.

حول علاقة هذه الأسرة بالمستعمر الفرنسي خلال الفترة المذكورة ينظر:

- العياشي روابحي: أسرة المقراني وعلاقتها بالإدارة الاستعمارية 1837-1871م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر 2007-2008.

49. صالح عوض: معركة الإسلام والصليبية في الجزائر 1830–1962، الزيتونة للإعلام والنشر، تونس، دون تاريخ ، ص 162.
50. Émile Larcher : Législation Algérienne, Tome I, Arthur Rousseau, Paris, France, 1903, p 54.
51. Colonel N.Robin : « Histoire du Cherif Boubarla », in Revue Africaine, n° 28, Année 1884, pp 179, 180.